"الاتجاه الإصلاحي في تفسير عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير"

"The Reformist Direction in the Interpretation of Abd al-Hamid Ibn Badis, the Councils of Remembrance"

حياة بومليحة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Athine_18@hotmail.fr

ملخص

مرت الجزائر بمرحلة تاريخية صعبة إبّان الاستعمار الفرنسي، كان الهمّ الأول للأئمة الأعلام المصلحين آنذاك هو إرجاع الشعب لتعاليم دينه الذي فيه نجاته في الدنيا والآخرة، وإخراجه من ظلمات الجهل ومتاهات الظلام التي أدخله الاستعمار الفرنسي غصبا عنه إليها. ومن القادة المصلحين الشيخ ابن باديس حامل همّ الأمة الجزائرية ورائد مصلحيها، والذي أقبل على تفسير القرآن وتقريب علومه للعامة ليكون وسيلته الإصلاحية التي تعيد الشعب إلى طريق الجادة وتعينه في كفاحه ضد المحتلين. لذا ارتأيت أن يكون عنوان هذه المداخلة "الاتجاه الإصلاحي في تفسير عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير"، لنستخرج المنهج الإصلاحي الذي اتبعه في تفسيره، فنستفيد من طريقته الإصلاحية العبر، وبه نستعين على المضي قدما في طريق الإصلاح الذي لا يزال واجبا على كل علماء الأمة ومصلحيها في كل زمان ومكان.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الإصلاحي في التفسير– عبد الحميد بن باديس– التفسير.

Abstract:

During the French colonization, Algeria went through a difficult historical phase. The most important concern of the reforming imams at that time was to save the people from the darkness of ignorance, by teaching them their religion. Among the reformer leaders, Sheikh Ibn Badis, leader of the reform movement in Algeria and founder of the society of Muslim 'scientists', was against the ignorance of Islam and against a cultural and religious decline in the Muslim population of Algeria under French occupation. By the interpretation of the Qur'an and brought its sciences closer to the public, so they can know their religion. Therefore, the title of this research paper: "The Reformist Direction in the Interpretation of Abd al-Hamid Ibn Badis, the Councils of Remembrance", order to extract the reformist approach that Ibn Badis followed in his interpretation so that we can benefit from his reformist method lessons, and through it, we seek a guide to move forward on the path of reform that is still obligatory for all scholars of the nation and its reformers at all times and places.

Keywords: Abdel-Hamid ibn Badis, the interpretation of the Qur'an, the reformist approach.

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن الله بعث نبيا محمد صلى الله عليه وسلم وختم به رسالاته، بعثه رحمة للعالمين، وأمدّه بكتاب هداية ودين، فما زال الناس يسيرون بهديه إلى يوم الدين.

واختلفت الأزمان فأصبح الدين كالغريب في بلاد المسلمين بعد أن غزى الاستعمار الظالم أرضهم وحاول بلا هوادة إبعادهم عن الدين والقرآن وكل ما فيه صلاحهم، وكذا كان حال الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي.

لذا انبرى للدفاع عن الإسلام والقرآن أئمة أجلاء بذلوا أرواحهم لخدمة البلاد والعباد، وإصلاح النفوس بإرجاع الناس لهداية القرآن، وتفسيره تفسيرا أثريا لا يخرج عن أقوال علماء السلف السابقين، وأضافوا الهدايات والتوجيهات التي تصلح من حال المجتمعات، ونوّهوا بالأخطاء والانفلاتات التي وقعت في زمانهم، ومن هؤلاء العلماء المصلحين الإمام عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح في الجزائر في زمانه والمدافع عن الدين والوطن والقرآن.

فالشيخ ابن باديس ممن دافعوا عن كتاب الله بدروسه التفسيرية التي قضى فيها أربعا وعشرين سنة حتى ختم درس تفسير القرآن، وإن لم يدوِّن تفسير القرآن كاملا لاشتغاله بتأليف الرجال وإعداد الجيل الذي يقف ضد الاستعمار، فقد جُمعت التفسير التي دونه الشيخ ونشره في مجلة الشهاب، في كتاب عنوانه: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" وهو العنوان الذي اختاره ابن باديس لتفسيره.

وقد ارتأيت أن يكون عنوان هذه المداخلة "الاتجاه الإصلاحي في تفسير عبد الحميد بن باديس" لدراسة منهج ابن باديس في التفسير واتجاهه الإصلاحي، انطلاقا من الإشكالية الآتية: ما هي معالم الاتجاه الإصلاحي في تفسير ابن باديس؟، والتي تفرعت عنها إشكاليات أخرى ثانوية، منها: من هو ابن باديس؟ ما هو منهجه في التفسير؟

لنستفيد من خلال هذه الدراسة طريقة الإصلاح والمنهج المتبع في جعل الآيات مسلكا من مسالك التوجيه، وبذلك يمكن المضي قدما في طريق الإصلاح الذي لا يزال واجبا على كل علماء الأمة ومصلحيها في كل زمان ومكان.

وتتمثل أهميّة البحث في هذا الموضوع في كونه دراسةً لمنهج مفسر مصلح بارع في اللغة عارف بعلومها، مستنبط للمعاني الدقيقة، بالإضافة إلى دراسة اتجاهه الإصلاحي.

أسباب اختيار الموضوع:

وأهم الأسباب التي أدّت لاختيار هذا الموضوع هي:

- القيمة العلمية لـ تفسير ابن باديس باعتباره مؤلفه مفسر فذا، وقائدا للاتجاه الإصلاحي في الجزائر.
- المنهج الإصلاحي المميّز لابن باديس باعتماده الدرس التفسيري وسيلة للإصلاح.

الدراسات السابقة:

وأمّا فيما يخصّ الدراسات السابقة فقد اطلعت على الآتي :

– دراسة بعنوان: "جهود المدرسة الإصلاحية الجزائرية في دراسة المصطلح القرآني –تفسير ابن باديس أنموذجًا– "، وهي دراسة تقدم بها الباحث نبيل صابري، ونُشرت على الموقع الإلكتروني "مركز تفسير للدراسات القرآنية"، وقد اختص هذا البحث بدراسة عناية ابن باديس بإقامة المصطلح القرآني وما يقتضيه، كذا أوردت معالم في مدى اهتمامه بمنهج الدراسة المصطلحية.

– مقال بعنوان "معالم المنهج الإصلاحي عند ابن باديس وموقع السنة النبوية منه" من إعداد كمال جحيش، نُشر المقال بمجلة "المعيار" التابعة لجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، قام الكاتب في هاته الورقة البحثية بتسليط الضوء على بعض معالم المنهج الإصلاح عند ابن باديس، وتبيين المكانة التي احتلتها السنة النبوية ضمن الإطار العام لهذا المنهج.

– مقال بعنوان "البعد الواقعي في تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس" للباحثة نادية وزناجي، نُشر المقال بمجلة "الإحياء" التابعة لجامعة الحاج لخضر بباتنة، واختص هذا المقال بذكر نماذج عن البعد الواقعي في تفسير ابن باديس.

– مقال بعنوان: معالم الاتجاه الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس "دراسة تحليلية" للكاتب علي أحمد غرم الله الزهراني، وعنوان هذه الدراسة أقرب ما يكون من عنوان بحثي هذا، وقد تزامن نشر هذا المقال في

مجلة العلوم الإسلامية الدولية مع إرسالي للمداخلة أوّل الأمر، فما اطلعت عليها إلا بعد أن أشارت عليّ لجنة التحكيم الكريمة إلى بعض التعديلات إحداها النظر في هذه الدراسة التي تطابق بحثي هذا في إشارتها إلى نفس موضوعه. وبعض النظر في هذه الدراسة اتضح أنّ الكاتب ذكر ثلاث معالم في المنهج الإصلاحي، أولاها الوعظ وترقيق القلوب، وثانيها الإصلاح الاجتماعي والاهتمام بالواقع، أمّا ثالثها اهتمامه بالسنة النبوية وبما جاء عن السلف الصالح. وقد اشترك بحثي مع هذه الدراسة في عنوان النقطة الثانية وهي الإصلاح الاجتماعي والاهتمام بالواقع وذلك كون الإصلاح الاجتماعي من أهمّ مطالب المصلحين في العصر الحديث، لذا حاولوا أن يكونوا أقرب إلى الواقع قدر المستطاع، واختلفت الدراستان في باقي المعالم الإصلاحية.

المنهج المتبع:

أما المناهج المتبعة في هذا البحث فهي:

- **المنهج التاريخي:** ويظهر في المبحث الأول عند ترجمة ابن باديس والحديث عن عصره.
- **المنهج الوصفي:** ويظهر في المبحث الثاني والثالث عند دراسة منهج واتجاه ابن باديس في تفسيره.

أما خطة البحث فتكونت من ثلاثة مباحث، أولها في التعريف بابن باديس وتفسيره، وثانيها في منهجه التفسيري، وآخر المباحث حول الاتجاه الإصلاحي في تفسيره. بالإضافة إلى مقدمة البداية وخاتمة ضمت أهمّ النتائج.

هذا والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: التعريف بابن باديس وتفسيره "مجالس التذكير"

المطلب الأول: ترجمة الشيخ عبد الحميد بن باديس

أولا: عصر الشيخ عبد الحميد بن باديس

سعت فرنسا باحتلالها للجزائر منذ 1830م لتحقيق أطماعها المادية ليس ذلك فحسب، بل كان لديها مطامع دينية تنصيرية صليبية قديمة. وقد شنت فرنسا حربا لا هوادة فيها على الثقافة العربية والإسلامية في طول البلاد

وعرضها، حيث أغلقت المدارس ولم يبق إلا ما تسمح به السلطات الفرنسية، والتي لم تسمح بفتح المدارس القرآنية إلا بشروط مهينة.[1]

عايش ابن باديس هذه الفترة المظلمة من تاريخ الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي، فكان قائد الدعوة الإصلاحية وحامل هم الأمة الإسلامية، فكان صاحب فكرة "جمعية العلماء المسلمين" فأنشأها رفقة نخبة من رفاقه لتقود راية الإصلاح في الجزائر، وكان لسان حالها جريدة "الشهاب" التي باشرت فتح عدد من المدارس وإرسال بعثات علمية إلى عدد من الأقطار العربية. فكانت دعوة ابن باديس دعوة دينية خالصة تتميز بالانفتاح والتجديد، وتقاوم الاندماج أو ضم الجزائر لفرنسا، وتنادي بالمحافظة على الصبغة العربية الإسلامية.[2]

ثانيا: الشيخ ابن باديس اسمه، مولده، ونشأته

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس ولد في ديسمبر سنة 1889م الموافقة لسنة 1308هـ بمدينة قسنطينة، من أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم والثراء والجاه. ووالدة الشيخ من أسرة "عبد الجليل" وهي مشهورة في قسنطينة، أما والده فكان عضوا في المجلس الجزائري الأعلى والمجلس العام، كما هو عضو في المجلس العمالي وعرف بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين بالعمالة القسنطينية.[3]

أتمّ الشيخ ابن باديس حفظ القرآن في سن الثالثة عشر على شيخه محمد المداسي، وصلى بعدها بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير. وتعلم اللغة العربية والمعارف الإسلامية على يد الشيخ أحمد أبو حمدان لونيسي. تزوج الشيخ في سن الخامسة عشر وأنجب ولدا سماه عبده إسماعيل توفي وعمره سبعة عشرة عاما. [4]

ثالثا: حياته العلمية ورحلاته في طلب العلم

---

[1] ينظر: عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، مازن صلاح مطبقاتي، دار القلم، دمشق، ط2، 1999م، 13- 15. عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، فهمي توفيق محمد مقبل، الدرعية، السنة الخامسة، العدد 20، 230- 231.

[2] ينظر: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، 231- 232.

[3] ينظر: ابن باديس حياته وآثاره، دار اليقظة العربية، ط1، 1388هـ – 1968م، 72- 73. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980م، 28. عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، 27 .

[4] ينظر: ابن باديس حياته وآثاره، 74.

سافر الشيخ بن باديس إلى مدينة تونس سنة 1908م وعمره آنذاك تسعة عشرة سنة، وهناك درس وتلقى العلم على جلة من علماء الزيتونة. ومكث أربع سنوات في طلب العلم إلى أن أجيز للتدريس، فأمضى بعد تخرجه سنة أخرى في التدريس بالزيتونة على عادة المتخرجين في ذلك الوقت.[1]

رجع الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى الجزائر سنة 1912م[2]، وكله عزم على بعث نهضة علمية أساسها الهداية القرآنية، وبدأ بإلقاء الدروس بالجامع الكبير، ثم تحول إلى الجامع الأخضر وقرر بعدها السفر للحج ولقاء شيخه حمدان لونيسي.[3] وفي موسم الحج لعام 1913م في البلاد المقدسة أتيحت له فرصة الاتصال بأطراف من العالم الإسلامي وعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وهناك ألقى درسا بالحرم النبوي بحضور جمع كبير من المسلمين ومن بينهم شيخه حمدان لونيسي. وعند رجوعه من بلاد الحرمين سلم له شيخه حمدان لونيسي رسالة إلى الشيخ بخيت العالم الأزهري المصري فاتصل به في منزله بحلوان فأجازه. ومر كذلك على بلاد الشام واختلط بعلماء المشرق الإسلامي.[4]

ونزل قسنطينة سنة 1913م (1332هـ) فشرع في العمل التربوي وأخذ يعلِّم صغار الصبيان الذين يقرأون القرآن في الكتاتيب.[5]

رابعا: شيوخه

من أهمّ شيوخ ابن باديس:[6]

- محمد المداسي: أول معلم لابن باديس، وكان أشهر مقرئي قسنطينة في زمانه، تلقى عليه القرآن فأتقن حفظه وتجويده.

---

[1] ينظر: ابن باديس حياته وآثاره، 76. عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى محمد حميداتو، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1997م، 66.

[2] ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، 65.

[3] ينظر: ابن باديس حياته وآثاره، 80.

[4] ينظر: ابن باديس حياته وآثاره، 80- 81.

[5] ينظر: ابن باديس حياته وآثاره، 81.

[6] ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، 67- 70.

- حمدان الونيسي: العالم العارف له أثر كبير في حياة الشيخ ابن باديس العلمية والعملية، وقد ظل ابن باديس يذكر تأثير شيخه على نفسيته، فيقول عنه: "إنه تجاوز به حد التعليم المعهود من أمثاله إلى التربية والتثقيف، والأخذ باليد إلى الغايات المثلى في الحياة".
- الشيخ الطاهر بن عاشور
- الشيخ محمد النخلي القيرواني
- الشيخ البشير صفرة

سادسا: آثاره

معظم آثار ابن باديس الباقية تلك التي نشرها في الصحافة، وخاصة تلك التي نشرها في جريدة البصائر ومجلة الشهاب، أما في مجال تأليف الكتب فشواغله الجمة ووقته الموقوف للدعوة والإصلاح والكفاح ضد المستعمر حال دون نتاج مؤلفات علمية متخصصة موسوعية. [1]

للشيخ تفسير القرآن الكريم اشتغل به تدريسا زهاء 14 عاما، ونشرت نبذ منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم "مجالس التذكير " .[2]

وأهم الكتب التي صدرت باسمه:

- العقائد الإسلامية
- مبادئ الأصول
- حقق ابن باديس كتاب أبي بكر محمد بن العربي "العواصم والقواصم"
- ترجم لرموز منتخبة من أعلام المسلمين في مجلة الشهاب، جمعت تحت عنوان "تراجم الأعلام"
- جمع عمار طالبي أعمال وآثار الشيخ ابن باديس في أربعة أجزاء، بعنوان "ابن باديس حياته وآثاره.[3]

ثامنا: وفاته

---

[1] ينظر: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، 275.

[2] الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، 3/ 289.

[3] ينظر: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، 275- 276.

توفي بقسنطينة في حياة والده. وذلك سنة 1359 هـ الموافق ل 1940 م. [1]

المطلب الثالث: التعريف بتفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس

أولا: اسم الكتاب وسبب تأليفه

يقول البشير الإبراهيمي وهو أدرى الناس برفيق دربه وصاحبه في النضال: "لم يكتب الأخ الصديق أماليه في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئاً منها. وضاع على الأمة كنز علم لا يقوّم بمال، ولا يعوض بحال. ومات فمات علم التفسير وماتت طريقة "ابن باديس" في التفسير. ولكن الله تعالى أبى إلاّ أن يذيع فضله وعلمه. فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس، وكان ينثرها فواتح لأعداد مجلة "الشهاب" ويسميها "مجالس التذكير"، وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له، كما أنها نموذج من أسلوبه الكتابي".[2]

ثانيا: القيمة العلمية للكتاب

يتحدث البشير الإبراهيمي عن تفسير ابن باديس فيقول: " ثم جاء أخونا وصديقنا الأستاذ الشيخ «عبد الحميد بن باديس» قائد تلك النهضة بالجزائر، بتفسيره لكلام الله على تلك الطريقة وهو ممن لا يقصر عمن ذكرناهم في استكمال وسائلها من ملكة بيانية راسخة، وسعة اطلاع على السنة وتفقه فيها وغوص على أسرارها، وإحاطة وباع مديد في علم الاجتماع البشرى وعوارضه، والمام بمنتجات العقول ومستحدثات الاختراع ... ومستجدات العمران، يمد ذلك قوة خطابية قليلة النظير، وقلم كاتب لا تفل له شباة"[3].

ثالثا: مصادر ابن باديس في تفسير "مجالس التذكير"

يذكر الشيخ ابن باديس بعض المصادر التي اعتمدها في تفسيره وميزة تلك التفاسير التي دعته لاعتمادها، وأهمها:

- تفسير ابن جرير الطبري الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.

---

[1] الأعلام، 3/ 289.

[2] مجالس التذكير، ابن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ - 1995م، 21.

[3] مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة- دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1421 هـ - 2000م، 324- 325.

- تفسير الزمخشري الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب، واستعمالها في أفانين الكلام.
- وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه للقراءات.
- تفسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية، ومقالات الفرق، والمناظرة والحجاج في ذلك.

كما اعتمد غيرها من كتب التفسير والحديث والأحكام، وذلك حسبما يقتضيه المقام.[1]

المبحث الثاني: منهج ابن باديس في تفسير "مجالس التذكير"

لم يدوّن ابن باديس تفسيرا للقرآن الكريم كاملا من الفاتحة إلى الناس، وإنما أتم تفسيره للقرآن الكريم شفويا في دروس منجّمة حضرها العديد من الناس، أما التفسير المدوّن فقد اختار ابن باديس آيات محددة تخدم أهدافه الإصلاحية، وعن طريقته في التفسير:

يقول ابن باديس: " فقد عدنا- والحمد لله تعالى- إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير. نقتطف أزهارها، ونجني من ثمارها، بيسرٍ من الله تعالى وتيسير، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات، بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك على صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون، أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون، رحمة الله عليهم أجمعين".[2]

ويتضح منهج ابن باديس في التفسير من خلال كلامه السابق، وبالنظر في تفسيره، كالآتي:

- **تفسير القرآن بالقرآن**

اعتمد ابن باديس تفسير القرآن بالقرآن، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء:18 و19] :

---

[1] ينظر: مجالس التذكير، 41.

[2] المصدر نفسه، 41.

يقول ابن باديس: "ونظير هذه الآية آية: ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ [الشورى:20]. عمل للدنيا فنال نصيبه منها، ولم يعمل للآخرة فلم يكن له نصيب فيها ... ونظيرها أيضاً آية: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ [هود: 15، 16] وتوفيتهم أعمالهم، إنالتهم ثمراتها مكملة في الدنيا، وهم فيها لا يبخسون".[1]

- **تفسير القرآن بالسنة النبوية القولية والفعلية:**

اعتمد ابن باديس في تفسيره للقرآن بالسنة ما ورد من الأحاديث الصحيحة:

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: 78]:

يقول ابن باديس: "أخرج البخاري- رحمه الله تعالى- في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «سمعت رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- يقول: تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» ثم يقول أبو هريرة فاقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[2]. فاستشهد أبو هريرة بالآية على الحديث، ليبين أنه تفسير لها، وأن صلاة الفجر مشهودة تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار".[3]

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15]. يقول ابن باديس: "فأمر بمصاحبتهما بالمعروف على كفرهما. وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر الصديق- رضي الله عنهما- قالت: «قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ

---

[1] المصدر نفسه، 50.

[2] أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، طوق النجاة، ط1، 1422هـ، باب: فضل صلاة الفجر في جماعة، ح648، 1/ 131.

[3] مجالس التذكير، 134.

عليه وَآلِه وَسَلَّم، فاستفيتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّم، قلت: قدمت علي أمي وهي راغبة (أي في العطاء والإحسان) أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك»[1].[2]

- **المناسبات**

ذكر ابن باديس أنه اعتنى في تفسيره بربط الآيات بوجوه المناسبات، ومن أمثلة في ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (83) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا)﴾ [الإسراء: 83 و 84]، ذكر وجه المناسبة بينها وبين الآيات التي سبقتها في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: 82]، فقال: " المناسبة: لما ذكر تعالى أن القرآن يكون شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلاّ خساراً، بين تعالى سبب خسار أولئك الظالمين، وهو إعراضهم عن الله، وبعدهم عنه، ويأسهم من رحمته. وعلم منه أن المؤمنين الذين كان القرآن لهم شفاء ورحمة هم على الضد منهم: فهم أهل إقبال على الله تعالى، وقرب منه، ورجاء فيه".[3]

- **اللغة: تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، والبحث في اشتقاق الكلمة ومصدرها**

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:1-2]، استخرج الألفاظ القرآنية وبين معناها وأصل اشتقاقها:

﴿تبارك﴾ مادة (ب ر ك) كلها ترجع إلى معنى الثبوت، منها: بروك الإبل، استناختها، والبركة كالقربة مثل الحوض يثبت فيها الماء... إلخ .

---

[1] أخرجه البخاري، باب: الهدية للمشركين، ح2620، 3/ 164، ح3181، 4/ 103. ومسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين، ح1003، 2/ 696.

[2] مجالس التذكير، 67.

[3] مجالس التذكير ، 147.

﴿نزل﴾ مادة (ن ز ل) كلها ترجع إلى معنى الهبوط من عل، والحلول في أسفل. ونزّل المضاعف أبلغ في المعنى من أنزل، وقد يفيد كثرة النزول كما هنا؛ لأنه نزله مفرقاً على نيف وعشرين سنة ...إلخ.

﴿الفرقان﴾ أصله مصدر فرق بمعنى فصل. وهو أبلغ في الدلالة على المعنى من فرق المصدر المجرد، بما فيه من زيادة الألف والنون، كما كان القرآن أبلغ من القراءة لذلك. وهو هنا إسم من أسماء هذا الكتاب الكريم.

﴿نذيرًا﴾ مادة (ن ذ ر) كلها ترجع إلى الإعلام والتحتيم، فمنها: نذر على نفسه الصوم أوجبه وحتمه وأعلم به ونذر بالعدو كفرح علم به وأنذره، أعلمه؛ ولا يستعمل إلا في إبلاغ ما فيه تخويف، فهو إعلام بتأكيد وتحتيم. ونذير هنا بمعنى منذر من فعيل بمعنى مفعل.[1]

- **ذكر وجوه الإعراب:**

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: 57]، يقول:

"و {أيهم}، اسم موصول مضاف إلى ضمير المبتغين، وهو بدل بعض من كل من الواو في يبتغون. و{أقرب}: خبر مبتدأ محذوف تقديره "هو" والجملة صلة الموصول. المعنى على الإعراب الثاني: أولئك الجن والملائكة الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أرباباً قد أسلموا؛ فصاروا من عباد الله المؤمنين، يطلبون أسباب الزلفة والقرب عند ربهم، ينظرون ... وعلى الإعراب الأول: يطلب الذي هو أقرب منهم أسباب الزلفة عند الله، فأحرى وأولى غيره. ويرجون بأعمالهم الصالحة رحمته، ويخافون بمخالفتهم عذابه..." [2]

وعند التفسير لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:108]، يقول:

"{سبحان} منصوب بفعل محذوف تقديره أسبح أي أنزه، والجملة معطوفة على جملة {أدعو}، فهي من بيان القبيل".[3]

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، 153.

[2] مجالس التذكير ، 20- 21.

[3] المصدر نفسه، 317.

- **حمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية:**

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: 30]، يقول: "وفي التعبير عنهم بقومه وإضافتهم إليه، وفي التعبير عن القرآن باسم الإشارة القريب؛ بيان لعظيم جرمهم بتركهم للقرآن، وهو قريب منهم في متناولهم، وقد أتاهم به واحد منهم، أقرب الناس إليهم، فصدوا وأبعدوا في الصد عمن هو إليهم قريب من قريب، وهذا أقبح الصد وأظلمه ... وفي قوله: {اتخذوا} الخ ... بيان أنهم جعلوا الهجر ملازماً له ووصفاً من أوصافه عندهم. وذلك أعظم من أن يقال: هجروه، الذي يفيد وقوعه الهجران منهم دون دلالة على الثبوت والملازمة".[1]

- **أسباب النزول:**

مما اعتنى به ابن باديس في تفسيره ذكر أسباب النزول، ومن الأمثلة في ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: 70]:

يقول ابن باديس: "أخرج الشيخان عن ابن عباس- رضي الله عنهما- واللفظ لمسلم ، قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية بمكة ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ... ﴾ [الفرقان: 68، 69]. فقال المشركون: وما يغني عنا الإسلام وقد عدلنا بالله، وقد قتلنا النفس التي حرم الله، وأتينا الفواحش؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ الآية[2]".[3]

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[الفرقان: 31]. يقول: "لما شكا- عليه الصلاة والسلام- قومه، سلَّاه الله تعالى وعزّاه، وأمره بالصبر والثبات، ووعده ورجاه".[4]

---

[1] المصدر نفسه، 173- 174.

[2] أخرجه مسلم، كتاب التفسير، ح3023، 4/ 2318.

[3] مجالس التذكير، 224.

[4] المصدر نفسه، 176.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: 62]. يقول ابن باديس:

"لما سأل المشركون بقولهم: {وما الرحمن}؟ كما يسألون عن المجهول! ذكر لهم القرآن ما يعرفهم به من عظيم آياته، وجلائل إنعاماته، التي هي من آثار رحمته؛ فذكر لهم بروج السماء، والشمس والقمر، ثم ذكر لهم تعاقب الليل والنهار".[1]

– الأحكام

كما لا يخلو تفسير ابن باديس من عرض للأحكام الفقهية وبعض المسائل الأصولية:

مثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: 70]، يسرد مسألتان أصوليتان الأولى: هل يخرج غير التائب من النار؟، والثانية: هل لقاتل النفس ظلمًا وعدوانًا من توبة؟، ويعقّب على كل مسألة بالأدلة والبراهين من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والعلماء.[2]

المبحث الثالث: الاتجاه الإصلاحي في تفسير "مجالس التذكير"

في هذا المبحث عرض لمسلك ابن باديس الإصلاحي من خلال النظر في تفسيره "مجالس التذكير".

المطلب الأول: الاصلاح عند ابن باديس

يُعرّف ابن باديس الإصلاح من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: 25]:

أولا: ما هو الصلاح

---

[1] المصدر نفسه، 189.

[2] مجالس التذكير، 226– 227.

"صلاح الشيء: هو كونه على حالة اعتدال في ذاته وصفاته، بحيث تصدر عنه أو به أعماله المرادة منه على وجه الكمال".[1]

وضده الفساد وهو: "فساد الشيء هو كونه على حالة اختلال في ذاته أو صفاته، بحيث تصدر عنه أو به تلك الأعمال على وجه النقصان".[2]

إذن فالصلاح هو كون شيء ما في حالة اعتدال بحيث يقوده اعتداله هذا إلى الكمال، وضده الفساد إذ هو حالة من حالات الاختلال والتي تقود لا محالة إلى النقصان.

أمّا في بدن الإنسان: "فإن له حالتين: حالة صحة، وحالة مرض. والأولى هي حالة صحته باعتدال مزاجه، فتقوم أعضاؤه بوظائفها وينهض هو بأعماله. والثانية هي حالة فساده باختلال مزاجه، فتتعطل أعضاؤه أو تضعف كلها أو بعضها عن القيام بوظائفه، ويقعد هو أو يثقل عن أعماله. هذا الذي تجده في البدن هو نفسه تجده في النفس :فلها صحة، ولها مرض، حالة صلاح وحالة فساد"[3].

ومنه فلجسم الإنسان وكذلك للنفس البشرية حالتين: حالة صلاح وحالة فساد، الأولى تمثل الاعتدال وهو المطلوب والمراد، أمّا الثانية فهي تعبير عن الاختلال الذي يُرجى دفعه واتقاؤه.

ثانيا: ماهية الإصلاح

يقول ابن باديس: "والإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله، بإزاء ما طرأ عليه من فساد.

والإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه"[4].

والإصلاح يشمل[5]:

- **إصلاح البدن** : فإصلاح البدن بمعالجته بالحمية والدواء. وإفساد البدن بتناول ما يحدث به الضرر.

---

[1] المصدر نفسه، 72.

[2] المصدر نفسه، 72.

[3] مجالس التذكير، 72- 73.

[4] المصدر نفسه، 72.

[5] ينظر: المصدر نفسه، 72.

- **إصلاح النفس**: وإفساد النفس بمفارقة المعاصي والذنوب... إن المكلف المخاطب من الإنسان هو نفسه، وما البدن إلاّ آلة لها ومظهر تصرفاتها، وإن صلاح الإنسان وفساده إنما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها. وإنما رقيه وانحطاطه باعتبار رقي نفسه وانحطاطها.
- **صلاح الفرد والمجتمع**: فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس: إما مباشرة وإما بواسطة.

ثالثا: طريق الصلاح:

وصلاح القلب- بمعنى النفس- بالعقائد الحقة، والأخلاق الفاضلة، وإنما يكونان بصحة العلم، وصحة الإرادة... فما من شيء مما شرعه الله تعالى لعباده من الحق والخير والعدل والإحسان إلاّ وهو راجع عليها بالصلاح. وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلّا وهو عائد عليها بالفساد. فتكميل النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب، وإرسال الرسل، وشرع الشرائع".[1]

المطلب الثاني: اتجاه ابن باديس الإصلاحي في تفسيره "مجالس التذكير"

من أبرز السمات الإصلاحية في تفسير مجالس التذكير:

أولا: إصلاح العقائد

لأن صلاح النفوس يكون أولا بصلاح العقائد، سرد ابن باديس في تفسيره مجموع العقائد بأدلتها، فكانت كالأعمدة الأساسية التي تدعم سقف الإصلاح.

ومن الطرق التي يراها ابن باديس وسيلة لإصلاح العقائد:

- **التذكير**: فالأمر بالتذكير ورد في القرآن الكريم، "وحاجة العباد إلى هذا التذكير أعظم ما يحتاجون إليه وأشرف وألزم. فإن سعادتهم الحقيقية في هذه الحياة بإنارة عقولهم، وزكاة نفوسهم واستقامة سلوكهم"[2]. وأمّا حاجتهم إلى التذكير فسببها أنّ كل ما في الكون يدلّ على وحدانية الله وقوته، فأمّا من أنار الله

---

[1] مجالس التذكير، 72- 73.

[2] المصدر نفسه، 25.

بصيرته بالعقل السديد علِم الحق ووحّد الخالق، وأمّا من على قلبه غشاوة وضل عقله أن يهتدي بالبصيرة إلى حقائق الأمور، وجب تذكيره بالدلائل والآيات البيّنات ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]: "وإنّ دلائل وجوده ووحدانيته وقيوميته، وآثار فضله وإحسانه ورحمته- ماثلة في الكون بادية للعيان، داعية إلى الشكر، هادية إلى الإيمان. لكن العقول كثيراً ما تكون مغلولة بقيود أهوائها، محجوبة بحجب غفلتها؟ فتعمى عن تلك الدلائل والآثار، فتكفر كفر جحود وعناد، أو كفر عصيان وطغيان؛ ويكون تورطها في كبائر الذنوب وصغائرها على مقدار تلك الحجب وتلك القيود".

- **عرض العقائد بأدلتها:**

فمثلا عند تفسيره للآيات: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ [يس: 2 - 6] ، عرض مجموع العقائد بأدلتها التفصيلية تحت عنوان " عقائد وأدلتها من هذه الآيات"، فقال:

"العقيدة الأولى: محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رسول الله:

دليلها الأول: القرآن الحكيم الذي جاء به رجل أمّي، ما قرأ ولا كتب، ولا دارس العلماء، ولا عرف الكتب.

ودليلها الثاني: موافقة دعوته- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لدعوة المرسلين- صلوات الله عليهم إلى عبادة الله وحده، وتصديق ما جاءهم به من عنده.

ودليلها الثالث: سلوكه هو في حياته على الصراط المستقيم.

ودليلها الرابع: هذا الدين الكامل الجامع، الذي هدي به النوع الإنساني أفراداً وجماعات إلى ما فيه سعادته.[1]

فذكر ابن باديس دلائل نقلية وأخرى عقلية وتاريخية كلها تؤكد صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، فمنها أنّ القرآن الكريم الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو رجل أميّ لا يقرأ ولا يكتب ما كان له أن يأتي بمثله وهو على أميّته، وقد أعيى فصحاء العرب، فدلّ ذلك على أنّه من عند الله وأنّه إنّما أنزله على نبيّ.

[1] ينظر: مجالس التذكير، 292- 293.

ومن الدلائل العقلية التي ذكرها موافقة الدعوة التي جاء بها النبي صلى الله عليه ودعوة الأنبياء السابقين، فذلك دليل على أنّ مصدرها واحد أي من عند الله الخالق العليم بكل شيء. وأنّ هذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كامل يهدي إلى الصراط المستقيم.

ومن الدلائل التاريخية ما جاء في سيرته صلى الله عليه وسلّم عن حياته التي عاشها على الصراط المستقيم، وأخلاقه التي كملت فهو الكامل المعصوم.

- العقيدة الثانية وهي: القرآن كلام الله ووحيه: ودليلها: أنه حكيم، فما فيه من العلم وأصول العمل، لا يمكن أن يكون إلاّ عند الله، في عقائده ودلائلها وأحكامه وحكمها وآدابه وفوائدها. إلى ما فيه من حقائق كونية، كانت مجهولة عند جميع البشر، وما عرفت لهم إلاّ في هذا العصر الأخير. [1]

فاستدل ابن باديس على صدق القرآن بما جاء فيه من عقائد وأحكام وحكم ممّا لا يمكن لغير الله أن يأتي بها، كما استدل بما جاء فيه من حقائق علمية وردت في القرآن إشارات ودلائل عنها، ليكتشف العلم الحديث مصداق تلك الحقائق والمسائل العلمية وقد مرّ على نزول القرآن أربعة عشر قرنا، "ومن أشهرها: مسألة الزوجية الموجودة في جميع هذا الكون حتى أصغر جزء منه، وهو الجوهر الفرد المركب من قوتين: موجبة وسالبة. جاءت هذه المسألة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49]. ومنها مسألة حياة النبات، التي جاءت في مثل قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [الأنبياء: 30]. ومنها مسألة تلاقح النباتات بواسطة الرياح التي تنقل مادة التكوين من الذكر إلى الأنثى، جاءت في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: 22]". [2]

فهذه حقائق علمية كونية، أجمع عليها علماء العصر أنها من المكتشفات الحديثة، ولم تكن معلومة عند أحد من الخلق قبل اكتشافها، ولا كانت عندهم الآلات الموصلة إلى معرفتها. [3] يقول محمد رشيد رضا: "فَجُمْلَةُ مَا وَرَدَ فِي اقْتِرَاحِ الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ مِنْ مُجْمَلٍ وَمُفَصَّلٍ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَهُوَ مُقَرِّرٌ؛ لِمَا عُلِمَ

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، 292- 293.

[2] مجالس التذكير ، 293.

[3] ينظر: المصدر نفسه، 294.

بِالْقَطْعِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ حُجَّتَهُ عَلَى رِسَالَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ هَذَا الْقُرْآنَ، الْمُشْتَمِلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالْإِصْلَاحِيَّةِ وَأَخْبَارِ الْغَيْبِ".[1]

ثانيا: عرض بعض القضايا الفقهية واستخراج الأحكام من الآيات

ومن القضايا الفقهية التي ذكرها ابن باديس في تفسيره، في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: 62]، يقول:

"لما كان جعل الليل والنهار خلفة لأجل التذكر والعمل، كان كل واحد منهما صالحاً للعمل الذي يعمل في صاحبه. فمن فاته عمل بالليل أتى به في النهار، ومن فاته عمل بالنهار أتى به في الليل. وهذا إذا كان من العادات فهو على سبيل التدارك، وإذا كان من العبادات فهو على سبيل القضاء".[2] ثم يورد الدليل على هذه المسألة، وممّا استدل به:

" ما رواه مسلم والأربعة عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ–: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل»[3]"[4].

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٦٢]. استخرج بعض الأحكام من الآية الكريمة، منها:

١ – أن على أئمة المسلمين وذوي القيادة فيهم، إذا نزل بهم أمر هام أن يجمعوا جماعة المسلمين الذين يرجى منهم الرأي والعمل فيما نزل، فلا يجوز لهم أن يهملوا أمرهم ولا أن يستبدوا عليهم.

٢ – وأن على المسلمين أن يجتمعوا إليهم ويكونوا معهم، يظاهرونهم ويؤيدونهم، وينصحون لهم، فلا يجوز لهم أن يتخلفوا عنهم، ولا أن يخذلوهم.

٣ – وأن على المجتمعين ألا يذهب واحد منهم إلاّ بإذن.

---

[1] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م، 11/ 272.

[2] مجالس التذكير، 191.

[3] رواه مسلم، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ح747، 1/ 515.

[4] مجالس التذكير، 191.

٤ – وألا يستأذن إلاّ لعذر ببعض الشأن.

٥ – وأن على الإمام أن ينظر في الإذن وعدمه، فيفعل ما هو أولى.[1]

ثالثا: إصلاح المجتمع

– القرآن هو منطلق الإصلاح

إذ جاء القرآن مبيّنا للفساد وأسبابه، داعيا إلى الإصلاح وطرقه، يقول ابن باديس:" وجاء أيضاً مبيناً للأخلاق الفاسدة، وذاكراً سوء أثرها وقبح مغبتها، مبيناً كذلك الأخلاق الصحيحة وعظيم نفعها، وحسن عاقبتها. فهذا شفاؤه للنفوس والعقول، وهو راجع إلى تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق وبهما سلامة الأرواح وكمالها وعليهما قوام الهيئة الاجتماعية وانتظامها".[2]

فالقرآن هو دواء الأفراد والأمم الذي يشفي أسقامها ويُصلح حالها: "على أن القرآن هو شفاء للاجتماع البشري، كما هو شفاء لأفراده: فقد شرع من أصول العدل، وقواعد العمران، ونظم التعامل، وسياسة الناس، ما فيه العلاج الكافي، والدواء الشافي لأمراض المجتمع الإنساني من جميع أمراضه وعلله".[3]

إذ هو أمر لا شك فيه أنّ الله أنزل في كتابه الكريم ما فيه صلاح العباد وعيشهم، وهم أمر أدركه الداعون إلى الإصلاح وفهموه، يقول محمد رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: " أي قَد جَاءَكُم كِتَابٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَوْعِظَةٍ حَسَنَةٍ لِإِصْلَاحِ أَخْلَاقِكُمْ وَأَعْمَالِكُمُ الظَّاهِرَةِ، وَحِكْمَةٌ بَالِغَةٌ لِإِصْلَاحِ خَفَايَا أَنْفُسِكُمْ وَشِفَاءِ أَمْرَاضِهَا الْبَاطِنَةِ، وَهِدَايَةٌ وَاضِحَةٌ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُوَصِّلِ إِلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... فِي آدَابِهِ وَمَوَاعِظِهِ، وَأَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ، وَهِدَايَةِ نَوَامِيسِهِ وَسُنَنِهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ، الَّتِي لَا يُمَارِي فِيهَا عَالِمٌ وَلَا يُكَابِرُ فِيهَا عَاقِلٌ؟"[4].

– تنزيل معاني الآيات على الواقع

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، 335.

[2] المصدر نفسه، 143.

[3] مجالس التذكير، 143– 144.

[4] تفسير المنار، 11/ 328.

يذكر ابن باديس في تفسيره لبعض الآيات تحت عنوان "تنزيل" ما يدل على بُعد حال الناس في زمانه عن الهداية القرآنية، ليقارن بين معاني الآيات وهداياتها وحال المسلمين اليوم لما هجروا القرآن وابتعدوا عن هديه.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: 30]، يقول تحت عنوان "تنزيل": "ونحن- معشر المسلمين- قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل، وإن كنا به مؤمنين"[1]، ثم يسرد نماذج عن ما ورد في القرآن وما يقابلها من ترك المسلمين للعمل بها والالتفات عنها:

ومما ذكره: "بسط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها، وقلنا: تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقّدة، واشكالاتها المتعددة، واصطلاحاتها المحدثة، مما يصعب أمره على الطلبة فضلاً عن العامة ... إلخ".[2]

ويذكر مثالا لحال طلبة العلم في وزمانه وبالأخص طلبة الزيتونة وحالهم مع القرآن وقد وقع منهم التقصير وهم طلبة للعلم فكيف بغيرهم.[3]

رابعا: محاربة البدع والخرافات

سعى ابن باديس في مشواره الدّعوي والإصلاحي إلى تخليص الناس من البدع والخرافات التي علقت بهم جراء ابتعادهم عن شرع الله وكتابه، من خلال التنظير لمعنى البدع والتمثيل له عمليا في حياة الناس وسلوكهم، وهو ما قام به في تفسيره.

---

[1] مجالس التذكير، 173.

[2] المصدر نفسه، 173.

[3] ينظر: مجالس التذكير، 174.

فيخبرنا ابن باديس أنّ كل زيادة في الشرع ممّا أحدثه النّاس بدعة: "ما يحدثه المحدثون من البدع في العبادات من الزيادات والاختراعات، إذ الزيادة على ما وضعه الشرع من العبادات وحدده افتيات عليه واستنقاص له؛ وهذه هي البدعة التي قال فيها النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[1] ".[2]

وعند حديثة عن الدعاء ووجوب توجّه الداعي في دعائه لله وحده دون سواه من الخلق، يقول: " لما ثبت شرعاً، أن الدعاء عبادة- فمن دعا شيئاً فقد عبده ولو كان هو لا يسمي دعاءه عبادة- جهلاً منه، أو عناداً-؛ لأن العبرة بتسمية الشرع واعتباره لا بتسمية المكلف واعتباره ... فالداعي لغير الله تعالى يطلب منه قضاء حوائجه، قد عبد من دعاه وإن لم يعتبر دعاءه عبادة؛ لأن الله قد سماه عبادة".[3]

أمّا حال المسلمين اليوم: "فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال: فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون".[4]

وأمّا حالهم مع الأضرحة والقبور: "ويذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب، أو ظلمت بها المساجد فيدعون من فيها، ويدقون قبورهم، وينذرون لهم، ويستثيرون حميتهم، بأنهم خدامهم وأتباعم، فكيف يتركونهم؟؟ ... وتراهم هنالك في ذل وخشوع وتوجه، قد لا يكون في صلاة من يصلي منهم!! فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعوين، وإن لم يعتقدوها عبادة؛ إذ العبرة باعتبار الشرع، لا باعتبارهم. فيا حسرتنا على أنفسنا كيف لبسنا الدين لباساً مقلوباً، حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال"[5].

فهذا حال بعض المسلمين اليوم في توجههم لغير الله ودعائهم غيره ممّا لا ينفعهم ولا يضرهم.

خامسا: طرق الإصلاح

---

[1] أخرجه النسائي، السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ت/ حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421 هـ- 2001م، باب كيف الخطبة، ح1799، 2/ 308 باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى العالم ما يكره، ح5861، 5/ 384. وابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ت/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1992م.باب صفة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم، ح1785، 3/ 143.

[2] مجالس التذكير، 308.

[3] المصدر نفسه، 119.

[4] المصدر نفسه، 119.

[5] مجالس التذكير، 119.

1- إعطاء الحلول وسبل النجاة

يقول ابن باديس: "لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوَّع الذي نذوقه ونقاسيه:

إلا بالرجوع إلى القرآن: إلى علمه وهديه. وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه. والتفقه فيه وفي السنة النبوية وشرحه وبيانه. والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد، وصحة الفهم، والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين، والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين".[1]

2- الترهيب والترغيب

والترغيب والترهيب من الأساليب الإصلاحية التي اعتمدها القرآن الكريم، لذا نجد الشيخ وفي مواضع كثيرة من التفسير يتطرق إلى هذا الأسلوب، وغالبا ما يدون تحت عنوان "الترغيب والترهيب" ما يدعو إلى الإصلاح.

فمثلا من باب الترهيب، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: 31]، جعل هاجر القرآن الصاد عنه من الذين وصفوا في الآية بأعداء الأنبياء، فقال: "هؤلاء الذين سماهم الله تعالى أعداء لنبيه، ووصفهم بالإجرام، هم أولئك الذين هجروا القرآن وصدوا عنه، فهذا تخويف عظيم ووعيد شديد لكل من كان هاجرا للقرآن العظيم بوجه من وجوه الهجران"[2].

ومن الترهيب لمرتكبي الذنوب العظيمة كسفك الدماء بغير حق، يقول في هذا الشأن: "ما أعظم هذا الذنب وما أكبره!! ونعوذ بالله من ذنب اختلف أئمة السلف في قبول توبة مرتكبه، وقد أجمعوا على قبول توبة الكافر. ولعظم شأن الدماء؛ كانت أول ما يقص فيه يوم القيامة بين الخلق. فإياك أيها الأخ أن تلقى الله تعالى بمشاركة في سفك قطرة من دم ظلماً ولو بكلمة، فإن الأمر صعب، والموقف خطير!!"[3].

ومن الترغيب ما يُستفاد من قصة نبي الله سليمان وقد مكّنه الله بالعلم والقوة، فجمع بين قوة الدين وقوة العلم وقوة الملك الذي رزقه الله إياه، ففيه ترغيب للناس للأخذ بالدين والعلم ووسائل القوة، يقول ابن باديس: "يذكر الله- تعالى- لنا في شأن هذا النبي الكريم ما أعطاه من علم، وما مكّنه منه من عظيم الأشياء. ترغيباً لنا في طلب العلم، والسعي في تحصيل كل ما بنا حاجة إليه من أمور الدنيا. وتشويقاً لنا إلى ما في هذا الكون من عوالم

---

[1] المصدر نفسه، 175.

[2] المصدر نفسه، 176.

[3] مجالس التذكير، 228.

الجماد، وعوالم الأحياء. وبعثا لهممنا على التحلي بأسباب العظمة من العلم والقوة. وحثاً لنا على تشييد الملك العظيم الفخم على سنن ملك النبوة. فقد كان سليمان عليه السلام نبياً، وما كان ملكه ذلك إلاّ بإذن الله ورضاه، فهو فيما ذكره الله من أمره قدوة وأي قدوة مثل سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين".[1]

3- نقل البشائر: تبشير المسلمين

مثلا: بشارة التائبين إلى رب العالمين

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: 71]،

يقول ابن باديس: "لما أفادت الآية السابقة أن التوبة تمحو السيئات، جاءت هذه الآية إثرها تبين ما أهلها من جزيل الإنعامات، وعظيم الدرجات. (المتاب): مصدر كالمرجع. خالف جواب الشرط وهو (يتوب) فعل الشرط وهو {تاب} بمتعلقه وهو {إلى الله}، ومعموله وهو {متابًا}. وعبر بالمضارع في الجواب ليفيد التجدد باعتبار تجدد المثوبات للراجعين إلى الله".[2]

ومن الأمثلة كذلك بشارة وتثبيت نقلها الشيخ لدعاة الحق والإصلاح، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:108]: "في الآية من سبب نزولها بشارة لدعاة الحق، وأنصار السنة، ومرشدي الأمم، عندما يقومون بدعوة القرآن في عشائرهم، ويلقون منهم النفور والإعراض والبغض والإنكار، ويجدون أنفسهم غرباء بينهم يعاديهم من كانوا أحبابهم، ويقاطعهم أقرب الناس قرابة إليهم، ويصبح يؤذيهم من كان يحميهم ويدافع عنهم".[3]

4- سرد المواعظ:

الإصلاح بسرد المواعظ من الأساليب القرآنية، وهو ما اعتمده الشيخ في تفسيره.

ومن المواطن التي يُستخرج منها العظات، ما ورد في القرآن في قصة النملة مع سيدنا سليمان، يقول ابن باديس: "هذه نملة وفت لقومها، وأدت نحوهم واجبها!! فكيف بالإنسان العاقل فيما يجب عليه نحو قومه؟! هذه عظة

---

[1] المصدر نفسه، 259.

[2] المصدر نفسه، 481.

[3] مجالس التذكير، 341.

بالغة لمن لا يهتم بأمور قومه، ولا يؤدي الواجب نحوهم، ولمن يرى الخطر داهماً لقومه، فيسكت ويتعامى، ولمن يقود الخطر إليهم ويصبه بيده عليهم. آه ما أحوجنا- معشر المسلمين- إلى أمثال هذه النملة!".[1]

5- الإقتداء والتأسي

يذكر ابن باديس تحت عنوان "اقتداء"، أنّ العلماء ورثة الأنبياء وأن ميراث العلماء العلم في دعوة منه إلى الاقتداء بالأنبياء والسير في طريق العلماء بأخذ العلم، فيقول: "العلماء ورثة الأنبياء. وما ورث الأنبياء ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، والعلم مستمد من الرسالة، فعلى أهله واجب التبليغ والنذارة، والصبر على ما في طريق ذلك من الأذى والبلايا، والعطف على الخلق والرحمة، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]"[2].

6- التدريج في الإنذار

فمن سنن الله في خلقه التدرج، وكذلك كان التدرج في الدعوة، قول ابن باديس: "أرسل الله محمداً- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- للعالمين بشيراً ونذيراً. ودرجه في النذارة على مقتضى الحكمة، من القريب إلى البعيد. فأمره بإنذار عشيرته بقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، فصعد الصفا فنادى بطون قريش حتى نادى العباس عمه، وصفية عمته، وفاطمة ابنته، وقال لهم: «اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا».[3] فبدأ بالأقرب فالأقرب، "وأمره بإنذار من حول مكة من العرب بقوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: 7]. على الوجه الأقرب في معنى: {وَمَنْ حَوْلَهَا} المؤيد بصدر الكلام وهو قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: 7]. ومثلها في إنذار العرب ما في هذه الآية، وهو قوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس: 6]. فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في المواسم. وأمره بتعميم الإنذار بمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]. فأرسل رسله إلى الأمم تحمل كتبه إلى ملوكها بالدعوة إلى الإسلام، وكان ذلك هو الإنذار العام". [4]

---

[1] المصدر نفسه، 263.

[2] المصدر نفسه، 70.

[3] مجالس التذكير، 296.

[4] المصدر نفسه، 296.

7- التحذير من الانحرافات والفهم الخاطئ

مثاله تحذير الشيخ من الافتتان بالمدنية الغربية: "رأى بعض الناس المدنية الغربية المسيطرة اليوم على الأرض- وهي مدنية مادية في نهجها وغايتها ونتائجها، فالقوة عندها فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان- فقالوا: إن رجال هذه المدينة هم الصالحون الذين وعدهم الله بإرث الأرض، وزعموا أن المراد بـ {الصالحون} في الآية: الصالحون لعمارة الأرض"[1]. وكل ذلك سببه تحريف في فهم القرآن: "فيا لله للقرآن، وللإنسان، من هذا التحريف السخيف!! كأن عمارة الأرض هي كل شيء؛ ولو ضلت العقائد، وفسدت الأخلاق، واعوجت الأعمال وساءت الأحوال، وعذبت الإنسانية بالأزمات الخانقة، وروعت بالفتن والحروب المخربة الجارفة، وهددت بأعظم حرب تأتي على الإنسانية من أصلها والمدنية من أساسها. هذه هي بلايا الإنسانية التي يشكو منها أبناء هذه المدنية المادية التي عمرت الأرض وأفسدت الإنسان، ثم يريد هذا المحرف أن يطبق عليها آية القرآن: كتاب الحق والعدل والرحمة والإحسان، وإصلاح الإنسان ليصلح العمران".[2]

وبعد التحذير من المفاهيم الخاطئة وتحريف المعاني القرآنية، يصحح ابن باديس هذه المفاهيم الخاطئة ويسرد المعنى القرآني بدون تحريف:

"فأما الصالحون، فهو لفظ قرآني كما قدمناه، وقد شرف أهله بإضافتهم إلى الله في قوله {عبادي} فحمله على الصالحين لعمارة الأرض تحريف للكلم عن مواضعه أبشع التحريف وأبطله، فليحذر المؤمن منه ومن مثله من تحريفات المبطلين والمفتونين".[3]

8- إرسال بوارق الأمل

إحياء آمال العباد ودفع اليأس عنهم، وذلك تأسيا بالقرآن الكريم في دعوته إلى عدم اليأس والقنوط: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف: 87] ، فالشيخ لا ينكر الواقع الذي يعج بالبلايا والمحن، ورغم ذلك فالإسلام محفوظ بحفظ الله لكتابه وسنة نبيه: "لقد شعر المسلمون عموماً بالبلايا والمحن التي لحقتهم، وفي أولها سيف الجور المنصب على

---

[1] المصدر نفسه، 349.

[2] المصدر نفسه، 349- 350.

[3] مجالس التذكير، 350.

رؤوسهم ... وقد حفظ الله علينا ذلك بما أن تمسكنا به لن نضل أبداً- كما في الحديث الصحيح- "الكتاب والسنة" وذلك هو الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالم أولاً، ولا نجاة للعالم مما هو فيه اليوم إلاّ إذا أنقذه الله به ثانياً".[1]

وقد سخّر الله لهذه الأمة المصلحين الذين أدركوا من أين دخل الأمةَ الخلل: "وأدرك المصلحون منهم أن سبب ذلك هو مخالفتهم عن أمر نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأخذت صيحات الإصلاح ترتفع في جوانب العالم الإسلامي في جميع جهات المعمورة، تدعو الناس إلى معالجة أدوائهم بقطع سببها واجتثاث أصلها. وما ذلك إلاّ بالرجوع إلى ما كان عليه محمد عليه الصلاة والسلام، وما مضت عليه القرون الثلاثة المشهود لها منه بالخير في الإسلام".[2]

كما لابد للإصلاح من أن يجني ثماره : "وقد أخذ المسلمون يصيخون أسماعهم ويستجيبون- أفواجاً أفواجاً- لداعي الإصلاح أينما دعاهم. وفي ذلك- والحمد لله- ما يقوي الرجاء والأمل، ويبعث على الجد والعمل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13]."[3]

خاتمة

وفي خاتمة هذا البحث تتبين أهمّ السمات التي تميز بها تفسير ابن باديس "مجالس التذكير"، وأهمّ معالم الاتجاه الإصلاحي في تفسيره، كالآتي:

- إصلاح العقائد لأن صلاح النفوس يكون أولا بصلاح العقائد، وسلك لأجل ذلك طرقا منها التذكير بالعقائد عملا بقوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]، وقد سمّى تفسيره "مجالس التذكير" ، كما لم يكتف بعرض العقائد فقد بل دعّمها بالدلائل العلمية والعقلية الصريحة.
- التعرض للقضايا الفقهية: سعيا منه إلى أن يتعلم الناس شرع الله وما فرضه عليهم ربّهم سبحانه وتعالى.

---

[1] المصدر نفسه، 339

[2] المصدر نفسه، 339.

[3] المصدر نفسه، 340.

- إصلاح المجتمع: باعتبار القرآن أصلا لكل صلاح، ومنطلقا لكل ما فيه الخير للأفراد والجماعات، وتنزيل معاني الآيات على الواقع المعيش.
- محاربة البدع والخرافات.
- أمّا عن طرق الإصلاح التي انتقاها الشيخ في تفسيره، فأهمّها:

1. إعطاء الحلول وسبل النجاة
2. الترهيب والترغيب
3. نقل البشائر: تبشير المسلمين
4. سرد المواعظ
5. الإقتداء والتأسي
6. التدريج في الإنذار وكذلك كان التدرج في الدعوة
7. التحذير من الانحرافات والفهم الخاطئ
8. إرسال بوارق الأمل

توصيات:

من التوصيات التي يمكن الخروج بها من خلال هذا البحث: الدعوة إلى دراسة مناهج واتجاهات التفاسير التي اهتمت بإصلاح الفرد والمجتمعات والتي تتميز بقيمتها العلمية وأهدافها الخادمة لكتاب الله النافعة لعباده، للاستفادة من هذه الدراسة الحلول الناجعة والطرق المنهجية التي تصلح حال المسلمين وتقودهم إلى النجاة والفوز في الدارين.

المصادر والمراجع:

- ابن باديس حياته وآثاره، دار اليقظة العربية، ط1، 1388هـ – 1968م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ت/ حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ- 2001م.
- صحيح ابن خزيمة، ت/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1992م.

- عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، مازن صلاح مطبقاتي، دار القلم، دمشق، ط2، 1999م.
- عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، فهمي توفيق محمد مقبل، الدرعية، السنة الخامسة، العدد 20، 230- 231.
- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى محمد حميداتو، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1997م
- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- مجالس التذكير، ابن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ - 1995م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980م.
- مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة- دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1421 هـ - 2000م.